المصدر: الفجر
التاريخ: ٢٠٠٥/٦/١١

العقد النفسية التى اغتالت السادات!

لا يهدف الدكتور مصطفى سويف فى الجزء الثانى من شهادته على العصر إلى تقديم حصر شامل لكل ما جرى من أحداث طوال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، وأنما يبدو كأن عالم النفس الشهير يقدم قراءة «نفسية» لهذه الأحداث. ومن هنا تأتى أهمية هذه الشهادة التى لا تكتفى فقط بالوقوف على أطلال الماضى، بقدر ما تهدف إلى تقديم رؤية للمستقبل.

أحداث السبعينيات . حسبما يرى سويف فى كتابة الذى حمل عنوان (مسيرتى ومصر فى القرن الحادى والعشرين) . لم تكن هوجاء كأحداث الستينيات بل كانت أكثر انضباطا، وأقرب إلى القيام على حسابات أجرتها نفوس باردة وعقول محنكة، وكأن اللاعبين الأساسيين أصاب كل منهم قدر معقول من المعرفة اليقينية بالخطوط الحمراء التى يضعها الآخرون: «الأعداء والحلفاء والمحايدون».. وفى مصر شهدت السنوات الأخيرة من السبعينيات فترات تحمل فى طياتها اختمارات منذرة ولحظات تعلن أنباء انفجارات مدمرة، وكانت فترات الاختمار تقدم الشواهد على تردى الأوضاع، وتنبىء بسوء المصير، ولكن «زعماء» ذلك الزمام كانوا يقرأون تلك الشواهد على أنها مجرد مثيرات للغضب لا على أنها رسائل ذات معنى!

كانت الرسائل تشجع على القراءة المتأنية للواقع، وإعادة النظر فيما اعتاد الزعماء التسليم به، سواء فيما يتعلق بحجم قدراتهم أو بحدود الصبر لدى شعوبهم، ولكن

الرسالة لم تصل كما ينبغى!
ولأن الدكتور سويف يؤمن بأنه لا يمكن فهم أحداث التاريخ أو تفسيرها دون ذكر للدور الذى يقوم به القائد أو الزعيم، فقد قدم تحليلا نفسيا لشخصية الرئيس أنور السادات: كانت إحدى الخصال الواسمة للرئيس السادات نزوعه إلى المغامرة إلى الحد الذى قد يصل إلى الإخلال بحسابات المكسب والخسارة، وكانت لديه خصلة أخرى هى التعجل فى التنفيذ، خاصة بعد مرحلة اتخاذ القرار، وخصلة ثالثة هى شدة الاهتمام بصورته كما تنطبع لدى الآخرين، وكانت هذه الخصال بمثابة مفاتيح تسهل الولوج إلى فهم شخصيته الفاعلة، ومنها أسلوبه فى تشكيل الدور الذى أسند إليه أن يؤديه فى المسرحية السياسية، وكانت المرحلة التاريخية التى حكم البلاد فيها جزءا من حقبة الحرب الباردة، حيث

اللاعبون جميعا يرفضون تسريع الأحداث «السريعة أو الكريجة»!
التقت خصال الحقبة التاريخية للسبعينيات مع خصال الرئيس «لقاء تاريخيا» لتحدث تناغما شديد الإرهاق انتهى باغتيال السادات فى أكتوبر ١٩٨١
ويستمر الدكتور سويف مقدماً رصداً لحقبة الثمانينيات التى كانت جسراً عبر العالم فوقه لينتقل من مرحلة الثنائية القطبية إلى مرحلة أحادية القطبية، وفى مصر كانت مرحلة «ترسيخ توجهات السبعينيات وإكسابها مزيداً من بلاغة الدلالة وعنفوان الزخم» أما فى حقبة التسعينيات فقد تفشت مظاهر اللامبالاة التى يبديها العالم نحو مشاعر الفرد وأحلامه، وتجليات التبلد التى تغلب على رسائل المجتمع نحو كل ما هو شخصى وثمين!

محمد بهاء الدين